

دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

*The role of context in interpreting the Qur'an Surat Yusuf as a model*

أ. عمار شويمت \*

– جامعة باتنة – الجزائر

[amarch041@gmail.com](mailto:amarch041@gmail.com)

ملخص:	معلومات المقال
<p>تعرض المقالة قضية تفسير النص ، وتسلط الضوء على السياق ؛ كونه من أبرز القرائن التي تساعد على فهم النص وتفسيره بشكل صحيح وتكشف المقصود به . كما تميزت هذه الدراسة بما يلي: دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف نموذج يهدف إلى التعريف بالسياق ، وإبراز مكانته ومجالاته ، وإثبات أن العديد من المفسرين أشاروا إليه قديماً وحديثاً ، وأعطوه مكانته في مواجهة الدلائل الأخرى ، وقليل من الطوائف الأخرى قد تتجاهلها ، أو تتعدى استخدامها ، مما نتج عنه خلل في فهم النص ، وكانت الجناية بالدرجة الأولى في النص ... والقرآني يمكن تقسيم السياق إلى أنواع * : سياق القرآن * . سياق السورة * . سياق النص أو المقطع أو الآيات * . سياق الآية .</p>	<p>تاريخ الإرسال: 2021/3/7 تاريخ القبول: 2021/3/19</p> <p><b>الكلمات المفتاحية:</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>✓ السياق؛</li> <li>✓ التفسير،</li> <li>✓ القرآن،</li> <li>✓ سورة يوسف،</li> <li>✓ النص</li> </ul>
<b>Abstract :</b>	<b>Article info</b>
<p><i>The article presents the issue of textual interpretation, and highlights the context; Being one of the most prominent clues that help to understand the text and interpret it correctly and reveals what is meant by it. Also, this study marked by: The role of context in interpreting the Qur'an Surat Yusuf is a model aimed at introducing the context, showing its status and fields, and demonstrating that many commentators referred to it in the past and modern, and gave it its status vis-à-vis other clues, and a few other sect may neglected it, or exceeded its use This resulted in a defect in the comprehension of the text, and the felony was</i></p>	<p>Received 7/3/2021 Accepted 19/3/2021</p> <p><b>Keywords:</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>✓ Context;</li> <li>✓ Interpretation,</li> <li>✓ the Qur'an,</li> <li>✓ Surah Yusuf,</li> <li>✓ the text</li> </ul>

*primarily on the text ... and the Quranic context can be divided into types:*

- \* *The context of the Qur'an.*
- \* *The context of the surah.*
- \* *The context of the text, passage, or verses.*
- \* *The context of the verse.*

#### مقدمة:

هذه الدراسة تتناول السياق وتطبيقاته في النص القرآني الكريم، وقد منّا لها بتعريف السياق في المعجميات اللغوية والاصطلاحية ثم عن أنماط السياق في الشواهد القرآنية بالاعتماد على دراسات قرآنية قديمة وحديثة مسلطين الضوء على سياقات النص القرآني في سورة يوسف وبيان الارتباط الوثيق بين المعنى والسياق في هذه السورة إذ تنبه الأقدمون إلى أهمية السياق في فهم النص اللغوي و القرآني وتحليل وظائفه اللغوية المكونة لبنية النص كما عني به المفسرون في تفسيرهم للقرآن الكريم بل يكاد يجمع كل الدارسين على ضرورة الأخذ بالسياق لفهم النص القرآني كما ركزت الدراسات الحديثة في دراسة المعنى على السياق وحاولنا أن نذكر في هذه المباحثة أن نظرية سياق الحال التي نادى بها العالم الانكليزي (جون فيرث) لم تكن جديدة في عهده ، ذلك لأن أصولها عند علماء العربية القدماء أمثال سيديويه، والجاحظ ، وابن قتيبة، وابن جني ، والجرجاني ، وغيرهم وما تكررهم عبارتي (لكل مقام مقال )، (ومطابقة الكلام لمقتضى الحال) إلا هو دليل قطعي على ذلك...

#### 01- مفهوم السياق :

السياق في اللغة لفظ ذو تشكلات عديدة ، وفي اللسان يأتي بمعنى المتابعة ، ومنه " ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا ، وتسوقت الإبل أي تتابعت <sup>1</sup> ". وفي أساس البلاغة أنّ من المجاز قولهم : " فلان يسوق الحديث أحسن سياق " ، و " هذا الكلام مساقه إلى كذا " <sup>2</sup> .

ومعناه هنا النمط الذي يتخذه الحديث في تتابعه ، وقريب من هذا ما ورد في المعجم الوسيط : ساق الحديث : سرده وسلسلة ، وساقه : تابعه وسايره وجاراه ، وسياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه <sup>3</sup> . ولا ريب أنّ الكلمة قد مرّت بتطوّرات عديدة حتّى وصلت إلى معناها الذي نعرفه اليوم. وقد تكون كتب التفسير وكتب الأصول من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السياق كمصطلح ، كما نجد ذلك في (الرسالة) للإمام الشافعي (ت 204 هـ) . وتطلق لفظة (السياق) في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا ، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلّم ، وانتظمت أجزاءه في نسق واحد ، وقد تدلّ على السياق ألفاظ أخرى؛ كالمقام ، ومقتضى الحال والتأليف ، وغيرها.

وفي المعاجم الحديثة يعرف السياق بأنّه " بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه " <sup>4</sup> . ويعرفه آخرون بأنّه " علاقة البناء الكلي للنصّ بأيّ جزء من أجزائه " <sup>5</sup> . وتشير هذه المعاجم إلى تضافر سياقات عديدة في النصّ تساهم في صياغة الرسالة اللغوية ، وهي : السياقات النحوية ، والبلاغية ، والصوتية. وانطلاقا منها يتداخل العديد من الاعتبارات النفسية والاجتماعية <sup>6</sup> . وقد اهتمّ النقاد والداليون و اللسانيون و الأسلوبيون بالسياق من وجهات مختلفة ، فدرس (أوستن) استخراج السياق من خلال البنى المختلفة للرسالة اللغوية. واهتمّ علماء الدلالة بالمعنى السياقي ، وقصدوا به المعنى الذي يستخرجه المخاطب من الكلام استنادا للسياق ، كما في بحوث جون

لاينز <sup>7</sup> ، وفيرث <sup>8</sup>

## دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

ومع تعدد هذه الميادين واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها ، فإنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية ، لدى كل من منتج الكلام والمتلقي ، وأنه ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية. ويأتي السياق في نوعين : السياق اللغوي ، والسياق الحالي ، والأول منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص؛ فهو يزيل اللبس عن الكلمة ، بينما سياق الحال أو المقام يزيل اللبس عن الجمل والنصوص ، والسياق بهذا المفهوم يتعدى ما هو معروف من حيث إنه تتابع للأصوات والألفاظ ليشمل فضلا عن ذلك الجو البيئي والنفسي المحيط بكل من المتكلم والسامع. ودراسة النص اللغوي وفهمه فهما عميقا يحتاج معرفة بالعوامل السياقية ، وفي مقدمتها الثقافة والبيئة والوسط الاجتماعي . ويعبر غراهام هو (Graham hough) عن هذا المعنى بقوله : " إن قراءة القصيدة خارج سياقها لا تعدّ قراءة أبدا".

### 02- أنماط السياق:

من خلال اطلعنا على بعض الدوريات والمصادر الأخرى وقراءتنا المتواضعة لبعض المصادر وجدنا أن للسياق أنواعا كثيرة ذكرها الدارسون المحدثون منها:

- السياق العاطفي.
- سياق الموقف<sup>9</sup>.
- السياق الاجتماعي.
- السياق الداخلي.
- السياق الخارجي.

03- السياق: أهميته ومجالاته:يعتمد فهم النص - أي نص - على مجموعة من العوامل والمعالم، سواء أكانت داخله أم خارجه، وقد تنبه لها العلماء - كلٌّ في مجال اختصاصه - فعرضوا لها تفصيلاً وتأصيلاً؛ بغية الوصول إلى تفسير للنص يكشف عن المراد منه.

إن هذه العوامل - على تفاوت بينها في الآثار والثمار- ذات تأثير مباشر على المعنى الدقيق للكلمات "وهذا أمر لم يعارض فيه أحد معارضة جدية"<sup>10</sup> ، ويعد السياق من أبرزها، وأكثرها أثرا في تحديد المعنى: "لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، فيكون الفهم متوقفاً على النظر إلى الكلام في ضوء السياق"<sup>11</sup> ، سواء أكان هذا السياق كلامياً أم غير كلامي<sup>12</sup> تتسع دائرة السياق بعامة، ويمتد نفوذه فيؤثر في جوانب متعددة في النص، فهو يساهم في تحديد المعنى ودفع اللبس، كما في كلمة "السائل"<sup>13</sup> مثلاً، ففي قولنا: "الدواء السائل أسلم للأطفال. تكون "السائل" اسم فاعل من "سال"، وفي قوله تعالي: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 24، 25] تكون "السائل" اسم فاعل من "سأل"، وفي قولنا: "سائل العلياء عنا" يكون "سائل" فعل أمر، ويعود الفضل للسياق في ضبط هذه الدلالات للكلمة الواحدة ، ودفع ما قد يتوهم من لبس. للسياق كذلك أثر في تحديد الزمن النحوي<sup>14</sup> ، وفي حل بعض مشاكل التنافر، وتوالي الأضداد<sup>15</sup> ، كما يحول السياق دون إنشاء جمل مستقيمة نحويًا ولا معنى لها، كقولنا: تأكل التفاحة الولد، إلى غير ذلك من المجالات التي نعرض عنها؛ لأنها خارج دائرة هذا البحث للسياق حضور أيما حضور في مجال تفسير النصوص القانونية، ولهذا تسالم رجال القانون على أنه "يجب أن تفهم الكلمات الواردة في النص القانوني، في ضوء المعنى الذي يعبر عنه سياق النص"<sup>16</sup>

### 04- السياق والقصص القرآني:

يظهر أثر السياق جلياً في الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، وربما كان بعضها أقرب إلى الصواب من بعض، وليس ثمّ دليل في سياقها الخارجي من آية أخرى، أو حديث، أو إجماع يُستند إليه في اختيار واحد منها، فيلزم والحالة هذه ويحسن أن يُتوجه إلى سياق الآية الداخلي؛ بغية استنطاقه: "لأن السياق قوة تحرك التركيب؛ فتنبعث من إشعاعاته ما يلائم"<sup>17</sup>. وقد قيل: "إن مصدر الإخراج الأول

## أ، عمار شويمت

لمحلل السياق هو ثراء السياق نفسه" [3، ص70]، وذلك بما يتضمنه من إشارات ترجح معنى على آخر، ينبغي أخذها بعين الاعتبار؛ "لأنه إذا احتمل الكلام معنيين، وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق؛ كان الحمل عليه أولى"<sup>18</sup> لقد أدى تجاهل هذا المسلك من قِبَل طائفة من المفسرين إلى عثرات وثغرات في تفاسيرهم، حين رضي هؤلاء بسرد الأقوال الواردة في الآية، وإيراد ما في مفرداتها من معان دون مراعاة للسياق في الغالب، دون ترجيح بين هذه المعاني. زين هذا المسلك لأصحابه أنها أقوال محتملة، والقرآن حمال ذو وجوه، وتكثير معاني الآيات غاية مقصودة، وقبل هذا وذاك استحضار هؤلاء المفسرين الحذر من القول على الله بغير علم.

بيد أن ما يستحسن ذكره بإزاء هذا الذي تقدم، أن حكاية الخلاف وذكر الأقوال في تفسير الآية، دون تنبيه على الراجح منها يضيع الحق، ويظهر النقص على حاكميه<sup>19</sup> ويجعل القارئ لكتب التفسير في حيرة من أمره، حين لا يتبين له مراد الله تعالى، وتزداد الحيرة إذا كانت هذه الأقوال متعارضة.

يكثر صنيع المفسرين المشار إليه آنفاً في آيات القصص القرآني بخاصة، وقد تكون الحجة أن منهج القرآن يقوم في ذكره للقصص على العرض الإجمالي وتجنب التفصيلات، وقد يسهم هذا في تكثير الأقوال المحتملة، والذهاب بالفهم كل مذهب، بخاصة عند من يبحث عن التفصيلات والجزئيات، والتي سيجدون بعضها في كتب الأمم السابقة؛ لاتفاقها مع القرآن الكريم في ذكر أصل بعض هذه القصص مع الاختلاف في العرض والمنهج.

يبدولنا أن المخرج من هذا هو العودة إلى السياق الداخلي للقصّة، والاحتكام إلى النص بسياقه، بعد أن تعذر الاستئناس بالسياق الخارجي؛ لعدم الثقة بأكثره، في حين يمكن للمفسر وهو يستعين بالسياق الداخلي أن يستبعد الأقوال الدخيلة، ويختار المعنى المناسب والمتجه مع مقاصد القرآن العامة.

نوضح هذا الذي عرضنا له من خلال بعض المشاهد من القصص القرآني، ونبدأ بدعوة زكريا عليه السلام؛ حيث طلب من ربه أن يهبه ذرية طيبة، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ \* فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 38-39].

ورد في سياق الحديث عن يحيى وأوصافه وصفه بأنه "حصورا"، والحصر لغة: الحبس والمنع، وقد اختلف المفسرون في دلالة هذا الوصف في ضوء المعنى اللغوي:

قال بعضهم: الحصور هو الذي يكتم السر، واستدلوا بقول جرير:

وَلَقَدْ تَسَاقَطَتِ الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا ♦♦♦ حَصْرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمُ ضَبِينًا<sup>20</sup>

قال آخرون: الحصور الذي لا يلعب، ويحصر نفسه عن المعاصي [34، ج3، ص148]. وقيل: بل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، واستدلوا بقول الأخطل:

وَشَارِبٍ مُزِيحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمِي ♦♦♦ لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَارٍ

تعود هذه الأقوال الثلاثة إلى معنى واحد، وهو التنزه عن الأفعال القبيحة، وهي لا تتناسب مع السياق الذي تضمن وصفه بالنبي والسيد والصالح، لأنها تستلزم براءته من الأفعال القبيحة؛ لأن السيد هو القدوة في الدين؛ فلا يكون في وصفه بالحصور على المعاني الماضية جديد، والأصل حمل معاني القرآن الكريم على التأسيس لا على التأكيد.

ذهب جمع المفسرين إلى أن الحصور هو الذي لا يأتي النساء، واستدلوا بقول الشاعر:

وَحَصُورًا لَا يُرِيدُ نِكَاحًا ♦♦♦ لَا وَلَا يَبْتَغِي النِّسَاءَ الصَّبَّاحَا

وهذا المعنى هو الشائع في الاستعمال، قال ابن عطية: "أجمع من يعتد بقوله من المفسرين على أن هذه الصفة ليحيى - عليه السلام - إنما هي الامتناع عن وطء النساء.

إن هذا المعنى هو الأنسب للسياق في هذا المقام؛ فإنه ليس معنى مكروراً كسابقه، إذ الحصر بهذا المعنى ليس من مستتبعات

## دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

النبوة والصلاح: بل الأصل خلاف هذا، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد، 38]، فلما انفرد يحيى عليه السلام بهذه الصفة نُصَّ عليها، ثم إن أصحاب هذا الرأي اختلفوا في سبب هذا الحصر، فقال بعضهم: إنه لا يأتي النساء عجزاً، وقد نسب إلى بعض الصحابة والتابعين قولهم: إنه كان عيناً لا ذكر له، وقيل: بل كان ذلك لصغر الآلة، ونسب لأبي هريرة وسعيد بن جبير قولهما: "كان ذكره مثل هذه القذاة". يشير إلى قذاة من الأرض، وعن سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وعلى هذه الأقوال تكون (حضور) بمعنى: مفعول، أي ممنوع بمانع خارجي، لا إرادة له فيه وأنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء "إن الطريق الأسلم للخروج من هذه الاختلافات والوقوف على مراد الله هو الاحتكام إلى السياق، وهو هنا سياق مدح وبشري وامتنان، وتلك صفات نقصان، ولهذا أحسن الرازي حين حكم على الأقوال المتقدمة بالفساد، قائلاً: "وذكر صفة النقصان في معرض المدح لا يجوز، ولأنه على هذا لا يستحق ثواباً ولا مدحاً"

05- التعريف بسورة يوسف .

سورة يوسف من السور المكية بالإجماع، نزلت بعد سورة هود، وقد كان نزولها في مرحلة عصبية من الدعوة المكية وبالتحديد بين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى، وذلك بعد أن اشتد أذى كفار قريش لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين معه، حتى أذن لأصحابه -رضي الله عنهم- بالهجرة إلى الحبشة، فنزلت السورة الكريمة تصبيراً وتسلياً للنبي عليه الصلاة والسلام، وبشري بالفرج والتمكين بعد الضيق والاستضعاف، كما حدث في قصة يوسف عليه السلام، ويرجع السبب في تسمية سورة يوسف بهذا الاسم إلى أن قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- هو موضوعها الأساسي، وترتيب سورة يوسف بين سور القرآن الكريم الثانية عشرة، وقد جاءت أيضاً في الجزء الثاني عشر، وعدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية. مناسبة السورة بالسورة التي قبلها وبعدها مناسبة السورة بالسورة التي قبلها تجدر الإشارة إلى المناسبة بين سورة يوسف وما نزل قبلها؛ وهي سورة هود، حيث نزلت مكتملة لما جاء في سورة هود من أخبار الأنبياء عليهم السلام، للبرهان على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم وحى من الله تعالى، مع وجود خلاف بسيط بين السورتين؛ فقد تحدثت سورة هود عن قصص الأنبياء -عليهم السلام- من حيث دعوتهم لأقوامهم، وتكذيب الكفار لهم، وعاقبة المؤمنين والمكذابين؛ لتكون عبرة لقريش ومن كذب من العرب، أما سورة يوسف -عليه السلام- فقد ذكرت قصة يوسف -عليه السلام- بأدق التفاصيل، وكيف أنه أخرج من بيت أبيه، وترى بعيداً عن أهله في صغره، وكيف بلغ أشده، وأصبح نبياً يدعو إلى دين الله، ثم تولى الملك، وأحسن الإدارة والسياسة، وكان خير قدوة للناس، فكانت أطول قصة في القرآن الكريم.

### 06- مناسبة السورة بالسورة التي بعدها

ترتبط سورة يوسف بما جاء بعدها؛ وهي سورة الرعد، ارتباطاً جلياً، حيث إن الهدف من ذكر قصص الأنبياء -عليهم السلام- ودعوتهم لأقوامهم في القرآن الكريم هو التأثير في الناس وهدايتهم، وكذلك ذكر آيات الله -تعالى- في الكون والحث على التفكر والتدبر في خلق الله تعالى، كما ورد في سورة الرعد، فهي تهدف إلى التأثير في الناس وهدايتهم أيضاً، وقد كان من أوائل الآيات في سورة الرعد، قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ). سبب نزول سورة يوسف ورد في بيان سبب نزول سورة يوسف عدد من الأقوال: القول الأول: يرى بعض أهل العلم أن سورة يوسف -عليه السلام- نزلت ابتدائية من غير سبب، لا سيما أن أغلب الروايات التي استدلت بها المفسرون في بيان أسباب النزول لا تصح، والذي دفعهم للاعتقاد بأن للسورة سبب نزول معين ما ورد في سياقها من الإشارة إلى أن هناك سائلين توجيهم هذه السورة، كما جاء في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَائِلِينَ)، على الرغم من أن ورود هذه الآية الكريمة لا يُفيد أن السورة نزلت لسبب معين، وقد يُحمل على أنه قد جاء فيها عبرة للسائلين عن أحوال الأمم السابقة، والمتدبرين في الكون. القول الثاني: إن جماعة من اليهود أرسلوا إلى كفار قريش يطلبون منهم اختبار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأن يسألوه عن نبي خرج من بلاد الشام إلى أرض مصر وعن تفاصيل قصته، فلما سأله مشركوا مكة أنزل الله -تعالى- سورة يوسف، وجاء فيها قصة يوسف -عليه السلام- كاملةً وبالتفصيل، على الرغم من ورود العديد من قصص الأنبياء -عليهم السلام- مجزأة في سور مختلفة، وقد بين الإمام القرطبي -رحمه الله- أن في ذلك حجةً ودليلاً على أن الله -تعالى- تحداهم بأن

يأتوا بمثل هذا القرآن مفزقاً أو مجتمعاً، فعجزوا عن الإتيان بمثله في الحالتين. القول الثالث: ذكر بعض المُفسِّرين أن اليهود سألو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن رجلٍ كان في الشام فارقه ولده فبكى عليه حتى عُمي، وسأله عن خبره ومن يكون: فنزلت السورة، وفي روايةٍ أخرى أن اليهود سألو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أسماء الكواكب التي وردت في سورة يوسف القول الرابع: إن سبب نزول السورة الكريمة أن الصحابة -رضي الله عنهم- سألو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يُقَصَّ عليهم القَصص بعدما نزل عليهم الكثير من القرآن الكريم، فأنزل الله -تعالى- قوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمَنَ الْغَافِلِينَ)، مصداقاً لما رُوِيَ عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه قال: (أنزل القرآن على رسول الله، فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: الرَّتْلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِلَى قَوْلِهِ: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ؛ فتلا عليهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زماناً، فقالوا: يا رسولَ الله! لو حدَّثتنا؛ فأنزل اللهُ: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً... الآية، كلُّ ذلك يُؤمَرُونَ بالقرآن). الظروف التي نزلت بها السورة كان نزول سورة يوسف على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من عوامل التثبيت، والمواساة، وتخفيف الآلام والأحزان في مرحلة الشدَّة والوحشة، وفقد النصير بوفاة عمه أبو طالب وزوجته خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- في مكة، وفي السورة الكريمة إشارةٌ إلى أن الفرج آتٍ لا محالة مهما اشتدَّت المصاعب، وتكالب أهل الباطل، وذلك من خلال استعراض ما مرَّ به يوسف -عليه السلام- من شدائدٍ وفتنٍ ومصائبٍ ابتداءً من قصته مع إخوته، وإلقائه في البئر، ثم انتقاله إلى بيت العزيز، وتعلُّق امرأة العزيز به ومرادته عن نفسه، مروراً بدخوله السجن، وصبره على كل ما أصابه في سبيل الله، وتحمُّل أعباء الدعوة إلى الله تعالى، وبعدها انقلاب الحال وخروجه من السجن عزيزاً كريماً، وتولَّيه مُلْكٌ مصر، وفي السورة الكريمة رسالةٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة -رضي الله عنهم- مفادها أن الصبر طريق التمكين، وأن الله -تعالى- ينصر أوليائه وعباده الصالحين، مصداقاً لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

#### 07- مواضع سورة يوسف

تعد قصة يوسف -عليه السلام- من أعظم قصص القرآن الكريم، فقد سمَّاه الله -تعالى- أحسن القصص لما فيها من الدلالات المهمة والعبء العظيمة التي يحتاجها كل مسلم، ولما فيها من العجائب، وتقلب الأحوال ما بين الضيق والفرح، والغنى والفقر، وذكر أمور الدنيا والآخرة، وفيما يأتي يمكن الإشارة إلى أهم المواضع في السورة الكريمة: رؤيا يوسف عليه السلام: تبدأ أحداث قصة يوسف -عليه السلام- بذكره الرؤيا لوالده يعقوب عليه السلام، كما في قول الله تعالى: (إِذ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ فَعَلَّمَ وَالِدُهُ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تُؤَدِّي بِكَرَامَةِ يُوسُفَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا إِشَارَةٌ إِلَى إِخْوَةِ يُوسُفَ أَحَدٍ عَشَرَ. إِخْفَاءِ الرُّؤْيَا بِسَبَبِ حَسَدِ إِخْوَةِ يُوسُفَ: بعد أن أوَّل يعقوب -عليه السلام- رؤيا ابنه الصغير يوسف، وعلم ما فيها من الكرامة، أمره بأن يكتنمها ولا يقصّها على إخوته، كما جاء في قول الله تعالى: (قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)، وعلَّل يعقوب -عليه السلام- طلبه بأنه يخشى على يوسف -عليه السلام- من حسد إخوته وكيدهم له. غيرة إخوة يوسف ومكرهم: بعد أن امتلأت قلوب إخوة يوسف حسداً وحقداً عليه بسبب محبة والدهم له، قرّروا أن يتخلَّصوا منه بأي وسيلة، فتأمروا على قتله أو إلقائه في الصحراء ليهلك بعيداً عنهم، ويتفرَّغ لهم أبوهم فيعتني بهم، ويقضي أوقاته معهم، ثم يتوبوا بعد ذلك. مؤامرة التخلُّص من يوسف: بعد حوارٍ دار بين إخوة يوسف قرّروا أن يأخذوه معهم ويضعوه في بئرٍ بعيدة، ثم يقولوا لأبيهم يعقوب -عليه السلام- أن الذئب قد أكله، وهذا ما حصل بالفعل، حيث وضعوا يوسف -عليه السلام- في البئر، ثم جاؤوا بدماءٍ شاةٍ ووضعوها على ملابسه، ورجعوا إلى أبيهم بيبكون، وأخبروه أن يوسف قد أكله الذئب، ولما رأى يعقوب القميص لم يجد فيه شقاً أو تمزيقاً، فعلم أنهم كاذبون، كما جاء في قول الله تعالى: (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبَرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). خروج يوسف من البئر: وبينما يوسف -عليه السلام- جالسٌ على صخرةٍ في ذلك البئر؛ إذ مرَّت قافلةٌ بالقرب من البئر فأرسلوا أحدهم ليحضر الماء، فلمَّا أتى البئر وجد يوسف عليه السلام، وفرحوا بما وجدوا، وأخفوه عن أعين الناس إلى أن وصلوا مصر، فباعوه لرجلٍ هناك بdraهم معدودة، واشتراه عزيز مصر وهو وزير المالية، وكان رجلاً عقيماً، فأمر زوجته أن تكرم يوسف عليه السلام، فعاش في بيته مكرماً، وبعد أن بلغ

## دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

أشده أصبح هو الأمر الناهي في بيت العزيز. فتنة الشهوة والإغراء: بعد أن اكتمل عقل يوسف -عليه السلام- وجسده، وظهر جماله، تعلقت به زوجة العزيز، فراودته عن نفسه، والمرادة تعني: الطلب برفقٍ ولين، فتعرض يوسف -عليه السلام- لفتنةٍ أشد من فتنة البئر والسجن، وهي فتنة الإغراء بالفاحشة، ولكنّه ثبت في وجه هذه الفتنة العظيمة ورفض أن يستسلم للشهوات ومكائد الشيطان، كما جاء في قول الله تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ). دخول السجن: أثر يوسف -عليه السلام- دخول السجن على الاستسلام لمكائد الشيطان وارتكاب الفاحشة، وقد كان -عليه السلام- داعيةً إلى الله -تعالى- حتى في سجنه، ونال حب رفقائه في السجن، وقد كان تأويله لرؤيا رفيقيه سبباً في خروجه من السجن بعد أن شاء الله -تعالى- ذلك. عزيز مصر: بعد أن قضى يوسف -عليه السلام- حاجة الملك في تفسير رؤياه، وبعد اكتشاف حقيقة إغواء امرأة العزيز له وبراءته من التهم المُستندة إليه، رأى ملك مصر أن يجعله عزيزاً عليها، وقد ازدهر الاقتصاد في عصره ونما، وبعد مرور فترةٍ من الزمن حدثت مجاعة في البلاد، فاضطر إخوة يوسف المجيء إليه طلباً للمساعدة، فعرفهم وهم له مُنكرون. لقاء يوسف بأبيه: بعدما عرف يوسف -عليه السلام- إخوته؛ بدأ يدبر لأمرٍ في نفسه، فلما طلبوا منه المساعدة والنجدة، رفض أن يساعدهم إلا بعد أن يُحضروا أخوهم الصغير من أبيهم معهم، فعادوا إلى أبيهم وأخبروه بأنهم مُنعوا من الطعام حتى يحضروا أخاهم معهم، فتردد يعقوب -عليه السلام- بإرسال ابنه معهم وخشي أن يضيّعوه كما يضيّعوا يوسف من قبل، ولكنّه لم يجد حلاً بديلاً لإرساله معهم، فبعثه بشرطٍ وهو أن يأخذ منهم وعداً أمام الله -تعالى- بأن يرجعوا به، ونصحهم أبوهم بأن يدخلوا من أبوابٍ متفرقةٍ ولا يدخلوا من بابٍ واحدٍ حتى لا يُحسدوا لكثرتهم وجمال هيتهم، فانطلقوا حتى دخلوا على يوسف عليه السلام. حيلة يوسف ليبقي أخاه في مصر: بعد أن جاء إخوته إليه، أمر يوسف -عليه السلام- أحد أعوانه بوضع مكياال الملك في أوعية أخيه، ثم نادى منادٍ للملك بأن هناك مكياالاً قد سُرق، وأن قافلة إخوته لن تمرّ حتى يتم تفتيشها، وعندما تم تفتيشها وُجد المكياال في وعاء أخيه، فلم يسمح لهم يوسف -عليه السلام- بأخذه، فاضطروا للعودة إلى أبيهم دون أخهم، وعندما علم يعقوب -عليه السلام- بالأمر صبر واحتسب، وطلب من أولاده البحث عن يوسف وأخيه. لقاء يوسف بأبيه: بعد أن توجه إخوة يوسف -عليه السلام- إلى مصر مرة أخرى طالبين من يوسف استرجاع أخهم، أخبرهم يوسف بأنه هو يوسف وعاتهم على ما فعلوه به وهو صغير، ثم ما لبث أن عفا وصفح عنهم، وأعطاهم قميصه ليضعوه على وجه أبيهم فيرتد إليه بصره بمشيئة الله، وبالفعل تحقّق ذلك، والتّم شمل يوسف بأبيه عليهما الصلاة والسلام.

08- المعنى والسياق في تفسير ابن كثير لسورة يوسف:

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

سُورَةُ يُوسُفَ رَوَى التَّعَلُّبِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِ سَلَامِ بْنِ سُلَيْمٍ وَيُقَالُ سُلَيْمٌ الْمَدَائِنِيُّ وَهُوَ مَثْرُوكٌ عَنْ هَارُونَ بْنِ كَثِيرٍ وَقَدْ نَصَّ عَلَى جَهَالَتِهِ أَبُو حَاتِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " عَلِمُوا أَرْقَاكُمْ سُورَةُ يُوسُفَ فَإِنَّهُ أَيْمًا مُسْلِمًا تَلَاهَا أَوْ عَلَّمَهَا أَهْلَهُ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ هَوْنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَأَعْطَاهُ مِنَ الْقُوَّةِ أَنْ لَا يَحْسُدَ مُسْلِمًا " وَهَذَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَا يَصِحُّ لِضَعْفِ إِسْنَادِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَقَدْ سَأَقَهُ الْحَافِظُ ابْنَ عَسَاكِرٍ مُتَابِعًا مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ هَارُونَ بْنِ كَثِيرٍ بِهِ وَمِنْ طَرِيقِ شَبَابَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ النَّضْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ وَهُوَ مُنْكَرٌ سَائِرِ طَرَفِهِ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ حِينَ سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْلُو هَذِهِ السُّورَةَ أَسْلَمُوا لِمُؤَافَقَتِهَا مَا عِنْدَهُمْ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ الْكُلِّيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَقَوْلُهُ " تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ " أَيُّ هَذِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمُبِينُ أَيُّ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ الَّذِي يُفْصِحُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهِمَةِ وَيُفَسِّرُهَا وَيُبَيِّنُهَا.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(2)

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحَ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنَهَا وَأَوْسَعَهَا وَأَكْثَرَهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنَّفُوسِ فَلِهَذَا أَنْزَلَ أَشْرَفَ الْكُتُبِ بِأَشْرَفِ اللُّغَاتِ عَلَى أَشْرَفِ الرُّسُلِ بِسِفَارَةِ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَشْرَفِ بَقَاعِ الْأَرْضِ وَابْتَدِئَ أَنْزَالَهُ فِي أَشْرَفِ شُهُورِ السَّنَةِ وَهُوَ رَمَضَانَ فَكَمَّلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي (4)

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

يَقُولُ تَعَالَى أَذْكَرَ لِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدَ فِي قَصَصِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ، وَأَبُوهُ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : ثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ " إِنْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ فَرَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بِهِ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا : ثَنَا مُحَمَّدٌ أَنَا عَبْدَةُ عَنْ عُثَيْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ ؟ قَالَ " أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ " قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ قَالَ " فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي ؟ " قَالُوا نَعَمْ قَالَ " فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا " ثُمَّ قَالَ تَابِعَهُ أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُثَيْدِ اللَّهِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَخِي : وَقَدْ تَكَلَّمَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى تَغْيِيرِ هَذَا الْمَتَامِ أَنَّ الْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا عِبَارَةٌ عَنْ إِخْوَتِهِ وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا سِوَاهُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ عِبَارَةٌ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ.

رُويَ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ وَقَتَادَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَدْ وَقَعَ تَفْسِيرُهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقِيلَ ثَمَانِينَ سَنَةً وَذَلِكَ حِينَ رَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَهُوَ سَرِيرُهُ وَإِخْوَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ " وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا " وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ تَسْمِيَةِ هَذِهِ الْأَحَدِ عَشَرَ كَوْكَبًا فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ جَبْرِ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ الْكِنْدِيِّ ثَنَا الْحَكَمُ بْنُ ظَهْرٍ عَنْ السُّدِّيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : أتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ يُقَالُ لَهُ بستانة اليهوديِّ فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّدَ أَخْبِرْنِي عَنْ الْكُوكَبِ الَّتِي رَأَاهَا يُوسُفُ أَنَّمَا سَاجِدَةٌ لَهُ مَا أَسْمَاؤُهَا ؟ قَالَ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ " هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ إِذَا أَخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا ؟ " قَالَ نَعَمْ قَالَ " جَرِيَانُ وَالطَّارِقُ وَالِدِيَالُ وَذُو الْكَنْفَاتِ وَقَابِسُ وَوَتَابُ وَعَمُودَانُ وَالْفَيْلِقُ وَالْمُصْبِحُ وَالضَّرُوحُ ذُو الْفَرْعِ وَالضَّيْبَاءُ وَالنُّورُ " فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِي وَاللَّهِ إِهْمَا لِأَسْمَاؤُهَا . وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ الْحَكَمِ بْنِ ظَهْرٍ وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْحَافِظَانِ أَبُو يَعْلَى الْمُؤَصِّلِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ الْبَرْزَاقِيُّ مُسْتَدْرِكِيهِمَا وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَمَّا أَبُو يَعْلَى فَرَوَاهُ عَنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ شُيُوخِهِ عَنْ الْحَكَمِ بْنِ ظَهْرٍ بِهِ وَزَادَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَمَّا رَأَاهَا يُوسُفُ قَصَّهَا عَلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا أَمْرٌ مُتَشَبِّهٌ يَجْمَعُهُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ - قَالَ - وَالشَّمْسُ أَبُوهُ وَالْقَمَرُ أُمُّهُ " تَفَرَّدَ بِهِ الْحَكَمُ بْنُ ظَهْرٍ الْفَرَزَارِيُّ وَقَدْ ضَعَفَهُ الْأَيْمَةُ وَتَرَكَهُ الْأَكْثَرُونَ وَقَالَ الْجُوزْجَانِيُّ سَاقِطٌ وَهُوَ صَاحِبُ حَدِيثٍ حَسَنٍ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ الْمَرْوِيُّ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ يَهُودِيًّا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْكُوكَبِ الَّتِي رَأَاهَا يُوسُفُ مَا أَسْمَاؤُهَا وَأَنَّهُ أَجَابَهُ ثُمَّ قَالَ تَفَرَّدَ بِهِ الْحَكَمُ بْنُ ظَهْرٍ وَقَدْ ضَعَفَهُ الْأَرْبَعَةُ.

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ

## دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ قَوْلِ يَعْقُوبَ لِابْنِهِ يُوسُفَ جِئْ عَلَيَّ مَا رَأَى مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي تَعْبِيرُهَا خُضُوعُ إِخْوَتِهِ لَهُ وَتَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ تَعْظِيمًا زَائِدًا بِحَيْثُ يَخْرُونَ لَهُ سَاجِدِينَ إِجْلَالًا وَاحْتِرَامًا لَا إِكْرَامًا فَخَبَّرَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ يُحَدِّثُ بِهَذَا الْمَنَامِ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ فَيَحْسُدُونَهُ عَلَى ذَلِكَ فَيَبْغُونَ لَهُ الْغَوَائِلَ حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ " لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا " أَيَّ يَحْتَالُوا لَكَ حِيلَةً يُزِدُونَكَ فِيهَا وَلِهَذَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلْيُحَدِّثْ بِهِ وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى جَنْبِهِ الْآخَرَ وَلْيَتَفَلَّحْ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ " وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَبَعْضُ أَهْلِ السُّنَنِ مِنْ رِوَايَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ الْقُسَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٌ مَا لَمْ تُعَبَّرْ فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ " وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ الْأَمْرُ بِكَيْتَمَانِ النِّعْمَةِ حَتَّى تُوجَدَ وَتُظْهِرَ كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ " اسْتَعِينُوا عَلَى قِضَاءِ الْحَوَائِجِ بِكَيْتَمَانِهَا فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ ."

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

وَيَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ قَوْلِ يَعْقُوبَ لَوْلَدِهِ يُوسُفَ إِنَّهُ كَمَا اخْتَارَكَ رَبُّكَ وَأَرَاكَ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ مَعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ سَاجِدَةً لَكَ " كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ " أَيَّ يَخْتَارُكَ وَيَصْطَفِيكَ لِنُبُوَّتِهِ " وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ " قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ يَعْنِي تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا " وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ " أَيَّ يَأْتِيكَ بِالْإِحْيَاءِ إِلَيْكَ . وَلِهَذَا قَالَ " كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ " وَهُوَ الْخَلِيلُ " وَإِسْحَاقَ " وَلَدَهُ وَهُوَ الدَّبِيحُ فِي قَوْلِ وَلَيْسَ بِالرَّجِيحِ " إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " أَيَّ هُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخِرَى .

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسَائِلِينَ (7)

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسَائِلِينَ

يَقُولُ تَعَالَى لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ وَخَبْرِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ آيَاتٍ أَيَّ عِبْرَةٌ وَمَوَاعِظٌ لِلْمَسَائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ الْمُسْتَخْبِرِينَ عَنْهُ فَإِنَّهُ خَبَّرَ عَجِيبَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ " إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا " أَيَّ حَلَفُوا فِيمَا يَظُنُّونَ وَاللَّهُ لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ يَعْنُونَ بِنِيَامِينَ وَكَانَ شَقِيقَهُ لِأُمِّهِ " أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ " أَيَّ جَمَاعَةٌ فَكَيْفَ أَحَبُّ دَيْنِكَ الْإِثْنَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ الْجَمَاعَةِ " إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " يَعْنُونَ فِي تَقْدِيمِهِمَا عَلَيْنَا وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمَا أَكْثَرُ مِنَّا . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى نُبُوَّةِ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَظَاهِرُ هَذَا السِّيَاقِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفِي هَذَا نَظَرٌ وَيَحْتَاجُ مَدْعَى ذَلِكَ إِلَى دَلِيلٍ وَلَمْ يَذْكُرُوا سِوَى قَوْلِهِ تَعَالَى " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ " وَهَذَا فِيهِ إِحْتِمَالٌ لِأَنَّ بَطُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُمُ الْأَسْبَاطُ كَمَا يُقَالُ لِلْعَرَبِ قَبَائِلٌ وَلِلْعَجَمِ شُعُوبٌ . يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْأَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَذَكَرَهُمْ إِجْمَالًا لِأَنَّهُمْ كَثِيرُونَ وَلَكِنَّ كُلَّ سِبْطٍ مِنْ نَسْلِ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَعْيَانِ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . احسنتم

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

يَقُولُ تَعَالَى لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ وَخَبْرِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ آيَاتٍ أَيَّ عِبْرَةٌ وَمَوَاعِظٌ لِلْمَسَائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ الْمُسْتَخْبِرِينَ عَنْهُ فَإِنَّهُ خَبَّرَ عَجِيبَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ " إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا " أَيَّ حَلَفُوا فِيمَا يَظُنُّونَ وَاللَّهُ لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ يَعْنُونَ بِنِيَامِينَ وَكَانَ شَقِيقَهُ لِأُمِّهِ " أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ " أَيَّ جَمَاعَةٌ فَكَيْفَ أَحَبُّ دَيْنِكَ الْإِثْنَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ الْجَمَاعَةِ " إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "

## أ، عمار شويمت

يَعْتُونَ فِي تَقْدِيمِهِمَا عَلَيْنَا وَمَحَبَّتِهِ إِيَاهُمَا أَكْثَرُ مِنَّا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَثْمُ دَلِيلٌ عَلَى نُبُوَّةِ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَظَاهِرُ هَذَا السِّيَاقِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفِي هَذَا نَظَرٌ وَيَحْتَاجُ مَدْعَى ذَلِكَ إِلَى دَلِيلٍ وَلَمْ يَذْكُرُوا سِوَى قَوْلِهِ تَعَالَى " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ " وَهَذَا فِيهِ إِحْتِمَالٌ لِأَنَّ بَطُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُمُ الْأَسْبَاطُ كَمَا يُقَالُ لِلْعَرَبِ قَبَائِلٌ وَلِلْعَجَمِ شُعُوبٌ يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَذَكَرَهُمْ إِجْمَالًا لِأَنَّهُمْ كَثِيرُونَ وَلَكِنْ كُلُّ سِبْطٍ مِنْ نَسْلِ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَلَمْ يَثْمُ دَلِيلٌ عَلَى أَعْيَانِ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اقتلوا يوسفَ أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين (9)

اقتلوا يوسفَ أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين  
يَقُولُونَ هَذَا الَّذِي يَزْحَمُكُمْ فِي مَحَبَّةِ أَبِيكُمْ لَكُمْ أَعْدِمُوهُ مِنْ وَجْهِ أَبِيكُمْ لِيَخْلُوَ لَكُمْ وَحْدَكُمْ إِمَّا بَأَن تَقْتُلُوهُ أَوْ تُلْقُوهُ فِي أَرْضٍ مِنَ الْأَرْضِ تَسْتَرِيحُوا مِنْهُ وَتَخْلُوا أَنْتُمْ بِأَبِيكُمْ " وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ " فَأَضْمَرُوا التَّوْبَةَ قَبْلَ الدَّنْبِ .

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَاهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَاهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

" قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ " قَالَ قَتَادَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ وَاسْمُهُ رُوْبِيلٌ . وَقَالَ السُّدِّيُّ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ يَهُودًا وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ شَمْعُونُ " لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ " أَي لَا تَصِلُوا فِي عِدَاوَتِهِ وَبُغْضِهِ إِلَى قَتْلِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى قَتْلِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ يُرِيدُ مِنْهُ أَمْرًا لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهِ وَإِتْمَامِهِ مِنَ الْإِيحَاءِ إِلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ وَمِنَ التَّمَكِينِ لَهُ بِبِلَادِ مِصْرَ وَالْحُكْمِ بِهَا فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ بِمَقَالَةِ رُوْبِيلَ فِيهِ وَإِشَارَتِهِ عَلَيْهِمْ بِأَن يُلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَهُوَ أَسْفَلُهُ . قَالَ قَتَادَةَ : وَهِيَ بئرُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ " يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ " أَي الْمَازَةَ مِنَ الْمَسَافِرِينَ فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ بِهَذَا وَلَا حَاجَةَ إِلَى قَتْلِهِ " إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ " أَي إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى مَا تَقُولُونَ

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11)

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ

لَمَّا تَوَاطَئُوا عَلَى أَخْذِهِ وَطَرَحَهُ فِي الْبُئْرِ كَمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِمْ أَخُوهُمْ الْكَبِيرُ رُوْبِيلُ جَاءُوا أَبَاهُمْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا مَا بَالُكَ " لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ " وَهَذِهِ تَوَطُّئَةٌ وَدَعْوَى وَهُمْ يُرِيدُونَ خِلَافَ ذَلِكَ لَمَّا لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ لِحُبِّ أَبِيهِ لَهُ .

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ (12)

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ

أَيِ ابْعَثْهُ مَعَنَا " غَدًا نَزْعٌ وَيَلْعَبُ " وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ بِالْيَاءِ " يَزْعُ وَيَلْعَبُ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَسْعَى وَيَنْشِطُ . وَكَذَا قَالَ قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ " وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ " يَقُولُونَ وَنَحْنُ نَحْفَظُهُ وَنَحُوطُهُ مِنْ أَجْلِكَ .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذَهُبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13)

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذَهُبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ يَعْقُوبَ إِنَّهُ قَالَ لِبَنِيهِ فِي جَوَابِ مَا سَأَلُوا مِنْ إِزْسَالِ يُوسُفَ مَعَهُمْ إِلَى الرَّغْمِ فِي الصَّخْرَاءِ " إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذَهُبُوا بِهِ " أَي يَسْقُ عَلَيَّ مَفَارِقَتَهُ مُدَّةَ ذَهَابِكُمْ بِهِ إِلَى أَنْ يَرَجِعَ وَذَلِكَ لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهُ لَمَّا يَتَوَسَّمُ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَشَمَائِلِ النُّبُوَّةِ

## دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

وَالْكَمَالِ فِي الْخُلُقِ وَالْخَلْقِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ " وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ " يَقُولُ وَأَخَشَى أَنْ تَشْتَغِلُوا عَنْهُ بِرَمِيكُمْ وَرَعِيكُمْ فَيَأْتِيهِ ذَنْبٌ فَيَأْكُلُهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ فَأَخَذُوا مِنْ فَمِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَجَعَلُوهَا عُذْرَهُمْ فِيمَا فَعَلُوهُ وَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ عَنْهَا فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ .

قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الدِّبُّ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ (14)

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ

أَيُّ مَكْدُوبٍ مُفْتَرَى وَهَذَا مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُؤَكِّدُونَ بِهَا مَا تَمَالَتْهَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَكِيدَةِ وَهُوَ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى سَخْلَةٍ فِيمَا ذَكَرَهُ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فَذَبَحُوهَا وَلَطَّخُوا ثَوْبَ يُوسُفَ بِدَمِهَا مُوَهِّمِينَ أَنَّ هَذَا قَمِيصَهُ الَّذِي أَكَلَهُ فِيهِ الدِّبُّ وَقَدْ أَصَابَهُ مِنْ دَمِهِ وَلَكِنَّهُمْ نَسُوا أَنْ يَخْرِفُوهُ فَلِهَذَا لَمْ يَزَجِعْ هَذَا الصَّنِيعَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ . بَلْ قَالَ لَهُمْ مُعْرِضًا عَنْ كَلَامِهِمْ إِلَى مَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ لُبْسِهِمْ عَلَيْهِ " بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ " أَيُّ فَسَّاسُ صَبْرًا جَمِيلًا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْرِجَهُ اللَّهُ بِعُذْرِهِ وَلَطْفِهِ " وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ " أَيُّ عَلَى مَا تَذَكَّرُونَ مِنَ الْكُذْبِ وَالْمَحَالِّ . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ سَمَاكٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : " وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ " قَالَ لَوْ أَكَلَهُ السَّبْعُ لَخَرَقَ الْقَمِيصَ وَكَذًا قَالَ الشَّعْبِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الصَّبْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي لَا جَزَعَ فِيهِ . وَرَوَى هُشَيْمٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَحْيَى عَنْ جَبَانَ بْنِ أَبِي حَبَلَةَ قَالَ : سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ " فَقَالَ " صَبْرٌ لَا شَكْوَى فِيهِ " وَهَذَا مُرْسَلٌ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ إِنَّهُ قَالَ : ثَلَاثٌ مِنَ الصَّبْرِ : أَنْ لَا تَحْدِثَ بِوَجْعِكَ وَلَا بِمُصِيبَتِكَ وَلَا تُزَكِّيَ نَفْسَكَ . وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ هَهُنَا حَدِيثَ عَائِشَةَ فِي الْإِفْكَ حَتَّى ذَكَرَ قَوْلَهَا وَاللَّهُ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ . "

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19)

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا جَرَى لِيُوسُفَ حِينَ أَلْقَاهُ إِخْوَتَهُ وَتَرَكَوهُ فِي ذَلِكَ الْجُبِّ وَجِدًّا فَرِيدًا فَمَكَثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِيمَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ لَمَّا أَلْقَاهُ إِخْوَتَهُ جَلَسُوا حَوْلَ الْبَيْتِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ يَنْظُرُونَ مَاذَا يَصْنَعُ وَمَا يُصْنَعُ بِهِ فَسَاقَ اللَّهُ لَهُ سَيَّارَةً فَتَرَلُّوا قَرِيبًا مِنْ تِلْكَ الْبَيْتِ وَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ هُوَ الَّذِي يَتَطَلَّبُ لَهُمْ الْمَاءَ فَلَمَّا جَاءَ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَأَدْلَى دَلْوَهُ فِيهَا تَشَبَّهَتْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا فَأَخْرَجَهُ وَاسْتَبَشَّرَ بِهِ وَقَالَ " يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ " وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ يَا بُشْرَايَ فَزَعَمَ السُّدِّيُّ أَنَّهُ اسْمُ رَجُلٍ نَادَاهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَدْلَى دَلْوَهُ مُعْلِمًا لَهُ أَنَّهُ أَصَابَ غَلَامًا وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ السُّدِّيِّ غَرِيبٌ لِأَنَّهُ لَمْ يُسَبِّحْ إِلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ هَذَا إِلَّا فِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَإِنَّمَا مَعْنَى الْقِرَاءَةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ يَرْجِعُ إِلَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى وَيَكُونُ قَدْ أَضَافَ الْبُشْرَى إِلَى نَفْسِهِ وَحَدَفَ يَاءَ الْإِضَافَةِ وَهُوَ يُرِيدُهَا كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ يَا نَفْسَ إِصْبِرِي يَا غَلَامَ أَقْبِلْ بِحَدَفِ حَرْفِ الْإِضَافَةِ وَيَجُوزُ الْكُسْرُ حِينَئِذٍ وَالرَّفْعُ وَهَذَا مِنْهُ وَتَفْسِيرُهَا الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى يَا بُشْرَايَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ " وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً " أَيُّ وَأَسْرَهُ الْوَارِدُونَ مِنْ بَقِيَّةِ السَّيَّارَةِ وَقَالُوا اشْتَرَيْنَاهُ وَتَبَضَّعْنَاهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَاءِ مَخَافَةَ أَنْ يُشَارِكُوهُمْ فِيهِ إِذَا عَلِمُوا خَبْرَهُ . قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ هَذَا قَوْلٌ وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ " وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً " يَعْنِي إِخْوَةَ يُوسُفَ أَسْرُوا شَأْنَهُ وَكَتَمُوا أَنْ يَكُونَ أَحَاهُمْ وَكَتَمَ يُوسُفَ شَأْنَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَقْتُلَهُ إِخْوَتَهُ وَاخْتَارَ الْبَيْعَ فَذَكَرَهُ إِخْوَتَهُ لِوَارِدِ الْقَوْمِ فَنَادَى أَصْحَابَهُ " يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ " يَبَاعُ فَبَاعَهُ إِخْوَتَهُ وَقَوْلُهُ " وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ " أَيُّ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ إِخْوَةَ يُوسُفَ وَمُشْتَرُوهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ ذَلِكَ وَدَفْعِهِ وَلَكِنْ لَهُ حِكْمَةٌ وَقَدَّرَ سَابِقَ فَتَرَكَ ذَلِكَ لِيَمْضِيَ مَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ " أَلَا لَهُ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " وَفِي هَذَا تَغْيِيرٌ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِعْلَامِهِ لَهُ بِأَنِّي عَالِمٌ بِأَذَى قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا قَادِرٌ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ وَلَكِنِّي سَأَمَلِي لَهُمْ نَمَّ أَجْعَلُ لَكَ الْعَاقِبَةَ وَالْحُكْمَ عَلَيْهِمْ كَمَا جَعَلْتَ لِيُوسُفَ الْحُكْمَ وَالْعَاقِبَةَ عَلَى إِخْوَتِهِ .

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خَالِهِمَا حِينَ خَرَجَا يَسْتَبِقَانِ إِلَى الْبَابِ يُوسُفُ هَارِبٌ وَالْمَرْءَةُ تَطْلُبُهُ لِيَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ فَلَحَقَتْهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ فَأَمْسَكَتْ بِقَمِيصِهِ مِنْ وَرَائِهِ فَقَدَّتْهُ قَدًّا فَظِيْعًا يُقَالُ إِنَّهُ سَقَطَ عَنْهُ وَاسْتَمَرَّ يُوسُفُ هَارِبًا ذَاهِبًا وَهِيَ فِي إِثْرِهِ فَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا وَهُوَ زَوْجَهَا عِنْدَ الْبَابِ فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَتْ مِمَّا هِيَ فِيهِ بِمَكْرِهِمَا وَكَيْدِهَا وَقَالَتْ لِرُؤُوسِهَا مُتَنَصِّلَةً وَقَادِفَةً يُوسُفُ بِدَائِهَا " مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا " أَيُّ فَاحِشَةٍ " إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ " أَيُّ يُحْبَسَ " أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " أَيُّ يُضْرَبُ ضَرْبًا شَدِيدًا مُوجِعًا فَعِنْدَ ذَلِكَ انْتَصَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَقِّ وَتَبَّرًا مِمَّا رَمَتْهُ بِهِ مِنَ الْخِيَانَةِ . من خلال تفسير الآيات السابقة نجد أن ابن كثير اعتمد السياق في تفسيره بل وجعل منه أساس تفسيره.

خاتمة: يعد السياق والمعنى كعملة واحدة يمثل المعنى وجهها والسياق قفاها لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال وقربنة السياق لم تذكر في الدراسات اللسانية الحديثة كما نادى بذلك المتأخرين ، لأن السياق ظهر عند الأقدمين في النحو والصرف والبلاغة ...

وسورة يوسف سورة مائة وتفسير ابن كثير ركز على السياق بالدرجة الأولى

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 01- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سوق).
- 02- الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة (سوق)
- 03- رمزي البعلبكي ، معجم المصطلحات اللغوية ،
- 04- محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظري ، .
- 05- إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، مادة سياق. ومجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب ،
- 06- عدنان بن ذريل ، اللغة والدلالة .
- 07- جون لاينز ، علم الدلالة ، ترجمة محمد عبد الحليم الماشطة وآخرون ،
- 08- عواطف كنوش المصطفى في كتابها الدلالة السياقية عند اللغويين الصادر عن دارالسياب عام 2007<sup>1</sup>
- 09- أولمان ، ستيفن. دور الكلمة في اللغة. ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال بشر. القاهرة: مكتبة الشباب، د.ت.
- 10- رضوان، محمود. نظرات في اللغة. ط1. بني غازي: د.ت، 1976م،
- 11- براون، جيليان ب.، وج يول. تحليل الخطاب. ترجمة وتعليق د.محمد لطفي الزليطني ود. 12- منير التريكي. الرياض: جامعه الملك سعود، 1418هـ/ 1997م
- 13- الموسى، نهاد. العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.
- 14- حسان، تمام. اللغة العربية: معناها ومبناها. الدار البيضاء: دار الثقافة، د.ت.
- 15- رواندا، بلوار. مدخل إلي اللسانيات. ترجمة بدر الدين القاسم. دمشق: مطبعة جامعة دمشق 1400هـ/ 1980م.
- 16- الحواء محمد سليم. تفسير النصوص الجنائية. ط1. جدة: عكاظ، 1401هـ/ 1981م،
- 17- أبو موسى، محمد. دلالات التراكيب. دراسة بلاغية. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة، 1399هـ
- 18- العزبن عبد السلام. الإشارة إلي الإيجاز في بعض أنواع المجاز. دمشق: دار الفكر، د.ت

## دور السياق في تفسير القرآن سورة يوسف أنموذجا

- 19- ابن الوزير، محمد بن مرتضي اليماني. إثثار الحق علي الخلق. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.  
20- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط. ط3. د.م. دار المعرفة، بيروت: 1393هـ

### الهوامش:

- <sup>1</sup>لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويفي الإفريقي، مادة (سوق)، د. صادر- بيروت ، ط3 ، 1414 هـ ، ج3، ص369
- <sup>2</sup> الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة (سوق)
- <sup>4</sup> رمزي البعلبكي ، معجم المصطلحات اللغوية ، ص 119
- <sup>5</sup> محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظري ، ص 57.
- <sup>6</sup> إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، مادة سياق. ومجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب ، ص 8.
- <sup>7</sup> عدنان بن ذريل ، اللّغة والدلالة ، ص 160.
- <sup>8</sup> جون لايزر ، علم الدلالة ، ترجمة محمد عبد الحليم الماشطة وآخرون ، ص 80.
- عواطف كنوش المصطفى في كتابها الدلالة السياقية عند اللغويين الصادر عن دارالسياب عام2007<sup>9</sup>
- <sup>10</sup>أولمان، ستيفن. دور الكلمة في اللغة. ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال بشر. القاهرة: مكتبة الشباب، د.ت. ص75
- <sup>11</sup>رضوان، محمود. نظرات في اللغة. ط1. بني غازي: د.ت، 1976م، ص464.
- <sup>12</sup>براون، جيليان ب.، وج يول. تحليل الخطاب. ترجمة وتعليق د.محمد لطفي الزليطني ود. منير التريكي. الرياض: جامعه الملك سعود، 1418هـ/ 1997م. ص100
- <sup>13</sup>الموسى، نهاد. العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000. ص282
- <sup>14</sup>حسان، تمام. اللغة العربية: معناها ومبناها. الدار البيضاء: دار الثقافة، د.ت. ص242
- <sup>15</sup>- رواندا، بلوار. مدخل إلي اللسانيات. ترجمة بدر الدين القاسم. دمشق: مطبعة جامعة دمشق 1400هـ/ 1980م. ص148
- <sup>16</sup>الحواء محمد سليم. تفسير النصوص الجنائية. ط1. جدة: عكاظ، 1401هـ/ 1981م، ص92
- <sup>17</sup>أبو موسى، محمد. دلالات التراكيب. دراسة بلاغية. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة، 1399هـ- ص112
- <sup>18</sup>العز بن عبد السلام. الإشارة إلي الإيجاز في بعض أنواع المجاز. دمشق: دار الفكر، د.ت. ص277
- <sup>19</sup>ابن الوزير، محمد بن مرتضي اليماني. إثثار الحق علي الخلق. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ- ص149
- <sup>20</sup>أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط. ط3. د.م. دار المعرفة، بيروت: 1393هـ، ص468